

كيف نواجه الإساءة للرسول الأكرم (ص)؟

ومن أولئك الذين كانوا يضايقونه ويسئون إليه بأقوالهم وتصرفاتهم عمه أبو لهب، ولد أن تعرف مقدار الإساءة التي تعرض لها (ص) إذا عرفت أن الناس -في العادة- تأخذ بكلام القريب من الشخص وتتأثر بموافقه منه؛ أكثر من أخذها وتأثرها بكلام وموافقات الآخرين البعيدين عنه، لطفهم بأنه أكثر اطلاعاً على واقعه وحقيقة.

عموماً، لكي نجيب على السؤال الذي طرحناه في العنوان - وهو (كيف نواجه الإساءة للرسول الأكرم (ص)؟) -، فإننا نحتاج أن نجيب على هذا السؤال: كيف واجه الرسول الأكرم (ص) الإساءة الموجهة له؟ لأن ما فعله الرسول (ص) هو ما يجب أن نفعله، فهو ينبغي أن يكون قدوة لنا في كل شيء، في العقيدة والشريعة والأخلاق وفي الأساليب المتبعة أيضاً، فيجب أن يكون أسلوب الرسول (ص) هو أسلوبنا، وسلوكه وآدابه هو سلوكنا وآدابنا، كما أن عقيدته هي عقيدتنا، وشريعته هي شريعتنا، وأخلاقه هي أخلاقنا، فهذا هو المفترض.

لذلك ينبغي أن نواجه الإساءة التي يتعرض لها بالمنهجية التي يقبلها الرسول (ص)، وبما لا تتعارض من منهجه ومبادئه، لأن فكره وأساليبه ينبغي أن يكون أيضاً هو فكرنا وأسلوبنا.

وإنني إذ أطرح مثل هذه الأسئلة؛ لا أريد أجوبة شكلية جوفاء خاوية تنفع كشعارات أو خطابات حماسية تلهب الحماسة في نفوس الجماهير، بل أريد إجابات ومعالجات حقيقية وواقعية تكون ضمن برامج ومشاريع وخطط عمل واضحة ومحددة، ولكننا وبالأسف لم نتعاد على الجدية في معالجتنا لقضاياها ومشاكلنا، وكلما تعرضنا لبعض منها -كهذه القضية- نرى ردود أفعالنا تقتصر على الشعارات والأساليب الخطابية، التي تبدأ بقوة وتتلاشى شيئاً فشيئاً إلى أن تنتهي، فكلما ابتعد الزمن عن مسافة الحدث،

كلما تلاشت هذه الردود وقلت فاعليتها أكثر إلى أن ينتهي دورها وتأثيرها نهائياً، وهذا الأمر هو ما يحدث معنا في كل مرة، فذاكرتنا ضعيفة جداً، ولم تعد قادرة على تخزين وحفظ ما يصلها لفترات طويلة !.

مهما يكن الأمر، فإن من يراجع ردود الأفعال التي تحدث بعد كل إساءة للرسول الأكرم (ص) يجدها كالتالي:

• الدعوة للمظاهرات والمسيرات المنددة: ففي كل مرة يساء فيها للرسول (ص) يتم الدعوة للمظاهرات والمسيرات المنددة بهذه الأعمال المشينة والمسيئة لمقامه (ص)، ولقد شهدنا ذلك في هذه المرة بشكل واسع، فلقد خرجت الكثير من المظاهرات والمسيرات الغاضبة والمنددة في أكثر من مكان في العالم الإسلامي. ولكن ماذا بعد ذلك؟! هل سيهدا الشارع الإسلامي وينسى بعد فترة زمنية ما حدث وكأن شيئاً لم يكن، كما هو الحال في كل مرة؟! أم ماذا؟! وأنا هنا لا أهدف للدعوة لاستمرار المظاهرات والاحتجاجات إلى ما لا نهاية، ولا أحرض كذلك على العنف (كما حصل في بعض البلدان من القتل والاعتداء)، ولكن أطالب بالتفكير الجاد ومحاولة تحديد المشكلة لاتخاذ الموقف المناسب حيالها.

• كل طرف يحمل المسؤولية للطرف الآخر: وذلك بأن يحمل كل أتباع مذهب الآخر مسؤولية ما حدث، ونرى ذلك جلياً في مجتمعاتنا، إذ أن الكثير من رجال الدين بدلًا من استغلال هذا الحدث لتوحيد المسلمين صفاً واحداً لمواجهة هذه الإساءة التي آل المتهم جمیعاً، قد أخذوا يستغلونها لإحداث المزيد من الفرقة والشتات بين المسلمين، وذلك بالتحريض على الآخرين بكونهم هم المتسببون لوقوع هذه الإساءة، وهذه مصيبة كبيرة. ومع احترامي وتقديرني لوجهة النظر القائلة بأنه لابد من تنقية التراث مما فيه من إساءات للرسول (ص)، ولكن أختلف مع هؤلاء في الطريقة التي يستخدمونها وفي التوقيت، فمن المفترض أن كل مذهب أو مدرسة فكرية -وبقناعة داخلية- هي من تمارس النقد الداخلي وتحاول تصفية مثل هذه الأمور الموجودة في تراثها، لأن يأتي من هو من خارجها ويستغل هذا الامر للطعن بها، فهذا ليس هو الوقت المناسب لحروب من هذا النوع.

الدعوة للقطيعة السياسية: وذلك بأن تقطع العلاقات مع الدول التي تساهم أو تسمح في الإساءة للرسول الأكرم (ص): بسحب السفراء وغيرها. وهذا باعتقاده لا يحل المشكلة، (لماذا؟) أولاً: هل من الممكن قطع العلاقات السياسية فعلاً؟ والسؤال الثاني: هل ستتوقف الإساءات للرسول الأكرم (ص) بذلك في حال حصوله؟ أم ماذا سيحدث؟! أترك الجواب للقارئ الكريم.

الدعوة لمقاطعة الاقتصادية: وبعدهم كما في كل مرة أيضاً دعا لمقاطعة الاقتصادية، وبغض النظر عن تأييدها لذلك أم لا، فإنني أعتقد بأننا حتى لو نجحنا في تنفيذ ذلك - وإن كنت أشك- فإننا لن نصل إلى هدفنا المنشود، وهو منع الإساءة للرسول الأكرم (ص)؟ لأن المقاطعة لا تحل المشكلة.

ومن يدقق في ردود أفعالنا بعين واعية يرانا مسكونين بفكر القطيعة والمقاطعة، فأمام كل أزمة نمر بها نسمع بهذه المفردة "القطيعة-المقاطعة"، فنسمع المطالبة بالقطيعة السياسية، وبالقطيعة الاقتصادية، وأحياناً بالقطيعة الفكرية والثقافية حتى نحافظ على أنفسنا وحيتنا ولا نتأثر كما يقول البعض، وهذا الأمر برأيي لا يخدم قضيانا وأهدافنا، فنحن لكي نعالج هذه الإشكالات نحتاج للمزيد من التواصل والتفاهم والتفاعل مع الآخر، بدلاً من القطيعة معه، وذلك لكي نستطيع أن نوصل فكرنا ورسالتنا له كما نريدها نحن.

وبطني أن القطيعة -السياسية، الإقتصادية، الفكرية، الثقافية) سوف تفاقم المسألة وتزيدها سوءاً، فنحن لكي نحتم ونحد من هذه الظاهرة نحتاج للمزيد من التواصل السياسي والاقتصادي، ولمزيد من الانفتاح الفكري والثقافي، وذلك لتوصيل أفكارنا وأراؤنا للآخرين ونقنعهم بها. والإقناع مسألة ليست بالبساطة، فينبغي أن نبحث عن الوسيلة التي نستطيع بها أن نقنع الآخرين، وهذا بالتأكيد لا يتم بالمقاطعة أو بالقطيعة، لأن القطيعة معناها إعلان العداء، والعداوة تزيد الأمر سوءاً، ونحن لا نريد ذلك، بل نريد أن نحول حتى الأعداء المخاصمين لنا إلى أصدقاء ومحبين، كما فعل الرسول الأكرم (ص) في

سيرته مع من أساء إليه، فقد حول الكثير من معارضيه وأعدائه إلى محبيه له ولدعوته، لأنه لم يمارس القطيعة معهم، بل على العكس تماماً، وقصته المشهورة مع جاره اليهودي خير دليل على ذلك.

كما ينبغي أن ندرك ونرفض سياسة العقاب الجماعي أو (العداء الجماعي)، فليس كل الغرب ضد الرسول (ص)، وهناك الكثير منهم له من المواقف الإيجابية تجاه الرسول (ص) وإن كان لم يؤمن بالإسلام، ولكنه آمن به كشخص له دوره الفعال في خدمة الإنسانية والقضايا العادلة، ومن هؤلاء الشاعر جورج صيدح، الذي يقول في قصيده مادحاً ومخاطباً الرسول الأكرم (ص) :

يا من سربت على iiالبراق

وجزت أشواط iiالعنان

آن الأوان لأن iiتجدد

ليلة المعراج .. آن

عرّج على القدس الشريف

ففيه أقدس iiتهان

ماذا دهاهم ؟ هل iiعصوك

فأصبح الغافر جبان ii؟

أنت الذي iiعلمتهم

دفع المهانة ii بالسانان

ونذر للشهداء في جنات

وختانی رات

يَا صَاحِبِيْ بَأْيِ آلِيْ

النبي تكذب؟ ii

إذاً ليس كل المسيحيين ضد الرسول الأكرم (ص)، وينبغي أن نعرف بأن الكثير ممن يتذمرون موقفاً سلبياً منه لم يعرفوه جيداً، ولم تصل رسالته إليهم بالشكل الصحيح، لذا لا بد أن نعقد العزم على أن نتواصل ونتفاعل معهم أكثر؛ لكي نحاول إيصالها لهم بأفضل الوسائل والطرق الممكنة.

ختاماً أقول: لا بد أن نستفيد من تجربة الرسول الأكرم (ص) ونتبعه في طريقته وأسلوبه مع من أساء

إليه، كما نستفيد منه ونتبعه في عقيدته وشريعته وأخلاقه، وعلينا كذلك أن نستفيد منه في كيفية تحويل الأعداء إلى محبيه ولا نغفل عن ذلك أبداً، وعلينا أن تكون لنا مبادرات وأفعال حقيقة فاعلة لإيصال رسالة الرسول الأكرم (ص) للبشرية، وأن لا نقتصر فقط على ردود الأفعال، (أي نكون فاعلين ولا نكون مفعول بهم - إن صح التعبير)، وعندما أقول مبادرات حقيقة لإيصال رسالته للبشرية، فإني لا أعني بهذا الكلام الدعوة المباشرة للإسلام، فهذا ربما لا ينفع مع جميع الفئات، ولكن مقصودي هو أن نركز على المبادئ والقيم التي أتى بها الرسول (ص) كمنهج للحياة ونروج لها بكل طاقاتنا وإمكاناتنا، وحتى نصل إلى هذا الهدف لا بد أن نعمل بجدية ونضع خطط عمل واضحة ومدروسة، ونخلص عن الشعارات والأساليب الخطابية، لأنها لا تمنحنا أي تقدم في هذه المسألة.